الجنود الصالحون

الكتاب: الجنود الصالحون
تأليف: ديفيد فينكل
ترجمة: ابتسام عبد الله

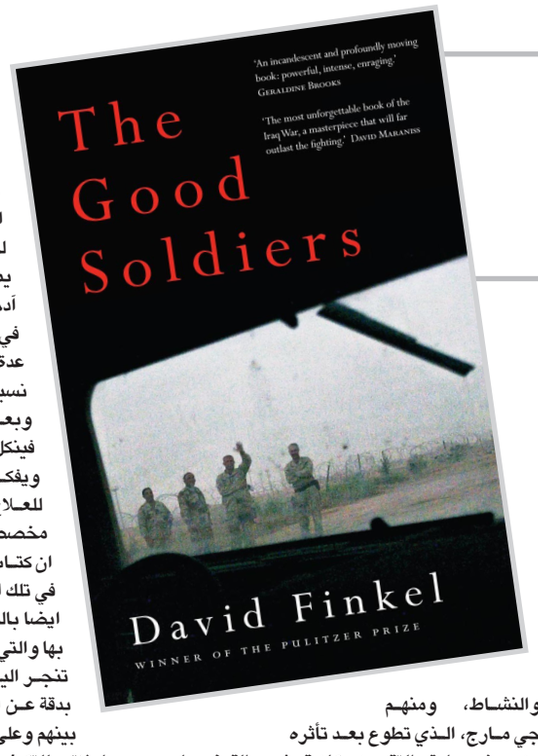

الحرب في العراق، وكما يظهر في كتاب ديفيد فينكل فهو ليس المناورة المضللّة لإدارة بوش المتسمة بعدم الاكتمال والحماسة الايديولوجية المتوهجة، بل هو إخفاق تام.

والجنود الصالحون، الكتاب الذي صدر اخيرا لا يعتبر رد فعل سريعاً للحرب بل يتحدث بعمق عنه: الحرب كما مورست كتجربة على الارض يوما بعد يوم، دقيقة بعد دقيقة من قبل افراد كتيبة عسكرية ارسلت الى بغداد في خلال ما عرف بتطبيق الخطة الامنية عام ٢٠٠٧.

ويصف فينكل، رئيس المحررين في صحيفة الواشنطن بوست الحائز على جائزة بوليتزر وباحساس كاتب روائي، عن الحرب وبداية الخراب الذي حصل لمجموعة من الجنود الذين شاءت أقدارهم ان يجدوا انفسهم متمركزين في بقعة ساخنة على حافة بغداد.

كان ذلك المنسي يدعى FOB، الرستمية، "قاعدة عسكرية متقدمة"، حيث النتانة والقذارة وروائح الفضلات التي لا وجود لتصريف صحي لها، ان هبت الريح من الغرب، وعندما كانت تهب من الشرق تجلب رائحة النفايات المحترقة، حيث منطقة قريبة أطلق على شوارعها اسماء مثل: طريق بلوتو، شارع الفتاة الميتة، والطريق المفترس. وكان الاخير يحتوي باستمرار على عبوات ناسفة.

ومثل كتاب مايكل هير، "رسائل إخبارية"، وكتاب تيم اوبراين، "اشياء حملوها"، فان "الجنود الصالحون"، يقبض على الرعب السيريالي للحرب.

تجربة الدم والعنف ولحظات المناسبات الانسانية التي يمر بها الجنود، لتبدأ بعد ذلك صور الحرب المفزعة في التسلل بأذهانهم الواحدة بعد الاخرى، حتى بعد خروجهم من ميدان القتال.

ويتحدث الكتاب عن اولئك الشبان الذين يبلغ معدل اعمارهم الـ ١٩ سنة، ويحملون ما زنته ٦٠ باونا من الاسلحة ويرتدون الدروع في غزواتهم لأطراف المدن، يفتشون فيها البيوت والمباني، دون ان يعلموا من هو المواطن البريء ومن المتمرد الذي يبغي القتل.

ويصف المؤلف الدوريات اليومية في شوارع بغداد حيث القنّاصون والقنابل والعبوات الناسفة المرتجلة الصنع – حالة مجازفة متواصلة ومصدر دائم للخطر، حيث الله او الحظ، عندما تقرر ثانية واحدة فقط، فيما اذا كان المرء سيموت او يصاب بجرح او يخرج سالما.

باتباع وسائل وتقنيات الصحافة الحديثة، كتب توم وولف، قبل عقود، وصفا لمشاهد الحرب، بأسلوب روائي تفصيلي وعبر اجراء مقابلات مباشرة مع الجنود لالتقاط افكارهم وذكرياتهم. وقام ديفيد فينكل ايضا بمهمة حيوية في نقل اولئك الجنود في العراق، من خلال دوريات البحث والملاحقة: ما هي احاسيسهم عندما يقتلون شخصا يشتبه فيه، ما هو رد فعلهم عندما يموت رفيق لهم او يحرق امامهم حيا؟!

ويتضمن الكتاب ايضا، تقارير مؤلمة عن جنود في عربات الهمفي التي جرى تفجيرها، ولقاءات مع عراقيين ابدوا استعدادا للتعاون معهم وعقد أواصر الصداقة، لكنهم كانوا خائفين من الانتقام، وتقارير اخرى مفزعة، تسرد كضربة بعد ضربة لحوادث قتل صحفيين من وكالة رويترز عام ٢٠٠٧، من قبل طائرة امريكية فتحت نيرانها عليهما ظنا انهما من المتمردين.

والمحور الرئيسي في كتاب فينكل هو قائد الكتيبة الكولونيل رالف كوز لاريج، المتفائل الذي اعتقد ان رجاله من صنف مختلف لكسب الحرب. كان شابا نحيفا، شديد التمسك بالنظام والاكثر اندفاعا، وكان ايضا الاسرع هرولة معتبرا الحياة عملا يوميا إراديا. كان كوز لاريج جنديا يؤمن بمهمته بعد حوادث وفيّات تراجيدية، وحتى بعد ان بدأ رجاله يطلقون عليه اسم، "كوزو المفقود" او "الرئيس بوش". وبكلمات المؤلف، ان ذلك يعني، "مقدرته على رؤية ما لايقدرون، ويرى ما لايرون".

ويصف فينكل بقية اعضاء الكتيبة بالحيوية والنشاط، ومنهم جي مارج، الذي تطوع بعد تأثره من مجند سابق، التقى به وكان قد شهد القبض على صدام (والذي قتل نفسه بعد ذلك إثر اشتداد الضغط النفسي للحرب عليه).

وهناك ايضا دنكان كروكستون، ١٩ سنة، الذي فقد في الحرب ساقيه، ذراعه اليمنى ثم اليسرى، اذنيه، انفه وجفنيه، والذي اجريت له عمليات جراحية شتى، لكنه يموت ووالدته إثر تلوث. وهناك آدم شومان، "اعتبر افضل الجنود في الكتيبة، والذي حمل زميلا جريحا عدة طبقات من السلم، لكنه لم يستطع نسيان ذلك الرعب.

وبعد ثلاث رحلات الى العراق، يكتب فينكل، ان شومان لم يعد يحتمل الحرب ويفكر في الانتحار، ويعطى المهدئات للعلاج، ثم نقل اخيرا بطائرة حربية مخصصة للجرحى والقتلى.

ان كتاب فينكل لا يعتبر منجزا عن الجنود في تلك الكتيبة الذين قتلوا في الحرب، بل ايضا بالنسبة للوسائل التي لا يمكن التنبؤ بها والتي تلتوي نحوها مجريات الحرب (او تنجر اليها في بعض الحالات). انه يتحدث بدقة عن احاسيس الرفقة التي تنمو فيما بينهم وعلى الصعوبة التي يجدها الجنود في محاولاتهم للتكيف على الحياة اليومية، بعد عودتهم الى بيوتهم. وكلما اتسعت الفجوة بالنسبة اليهم ما بين تلك الحرب التي يناقشها السياسيون والجنرالات والحرب التي خاضوها، ازدادت حياتهم صعوبة.

ويقول المؤلف، ان اخبار الحرب تبدو في الولايات المتحدة الامريكية مضخمة وليست مصغرة، والجنود الذين تحدث اليهم ابدوا دهشتهم ازاء طريقة المناقشات التي تدور بين السياسيين من الجمهوريين او الديمقراطيين، على شاشة التلفاز. انهم يتجادلون بيقين تام حول فاعلية الخطة الامنية وفيما اذا كان العراق ماضياً في طريق الاعتماد على النفس كان الامر واضحا من ان معظم اولئك الساسة لم يذهب الى العراق، وان فعلوا ذلك، فبتلك الطريقة التي يشير اليها الجنود – جولة حاجب الريح (الذي يقي المرء) – اي انه يحضر الى الداخل من حراسه، يتحدث مع جنرال او اثنين، يصعد الى سيارة همفي، يشاهد سوقا محاطة بالجدران، يحصل على عملة تذكارية، ثم يحضر ثانية الى الخارج.

ان الحرب بالنسبة للسياسيين والجنرالات والمعلقين كانت عن "امور اكثر ستراتيجية، اكثر سياسية، اكثر دهاءً واندفاعا". اما بالنسبة لجنود كتيبة ٢ – ١١، فإنها ستكون الحرب دائما، افعالاً للشجاعة والتراجيديا. ان القتال في الفضيلية – كان هو الحرب. والا فكيف تكون الحرب؟!

عن النيويورك تايمز

تفّاحة نيوتن

ها هو الرجل الذي كان – بتعبير (وورذزورث) (وليم ووردزورث (١٧٧٠–١٨٥٠) شاعر انكليزي يعتبر كبير شعراء الحركة الرومانتيكية الانكليزية)– رحالاً الى الابد عبر بحار التفكير بمفرده"، ففي هذه الدراسة المثيرة للاهتمام والذكية نراه يلج بوابة سجن (نيوغَيت) الكبيرة والتي منها اقتيد الى حجرة كريهة الرائحة، ويجلس الى مائدة ويدوّن ملاحظات من سجين معتل ومهزول، اما الزائر فهو (اسحاق نيوتن) اعظم عبقري في العلم في ذلك العصر او أي عصر آخر وهو يصغي الى الشهادة التي يهمسها المشارفون على الموت، وقد نلاحظ الشدة، بل التركيز الشديد الذي يبديه في كل نواحي حياته.

وكان (نيوتن) – بحسب الظاهر – خياراً غريباً ليكون قيّم دائرة سك النقود ومن ثم رئيسها في ربيع عام ١٦٩٦ حيث كانت هي الجهاز الذي يتحكم بسك النقود وتداولها في ارجاء المملكة (المتحدة)، وقد كان قبل ذلك اكاديمياً لمدة حوالي (٣٠) عاماً وله منزل في كلية ترنيتي في كمبرج، وفي سعيه وراء اليقين الرياضي (اي المتعلق بالرياضيات) يبدو انه لم يكن لديه اهتمام بالعالم في الحياة اليومية فقد كان شغوفاً فقط بتفانيه في التجربة والملاحظة، اذ سمنت قطته من الوجبات التي كان ينسى تناولها فيما كان منشغلاً باحتسابات الارقام.

وفي أيام الطاعون عام ١٦٦٥ انسحب من كامبرج الى مزرعة عائلته قرب (غرانثام) حيث – حسب تعبيره – كان "يتدبر الرياضيات والفلسفة اكثر من اي وقت بعد ذلك"، وفي هذه الفترة قد يكون او لا يكون شاهد التفاحة تسقط من الشجرة ومع ذلك فإنه من الصحيح بما فيه الكفاية أنه في تقاعده الاجباري استنبط المبادئ الاولى لـ (الرياضيات الاساسية) الخاصة به، ودفعته التفاحة ببطء نحو النظرية الثورية للجاذبية الكونية وتجاه صيغة عامة للقوى المحركة السماوية، فقد جعل الكون رياضياتياً، وجعله سهل الانقياد للقوانين البشرية، ولايزال العلماء الامريكيون في وكالة ناسا يعتمدون على حساباته.

وفي سن السادسة والعشرين اصبح بروفسوراً في الرياضيات في كامبرج اذ كان ذلك منصباً فاخراً بالنسبة لشاب يافع مع انه – كما قال احد معاصريه – كان غالباً ما يتلو محاضرته على مدرج خاو، وفيما كان مقيماً في الجامعة كتب تلك المبادئ وهو عمل مهيب برغم صعوبته بحيث ان (ليفينسون) يصفه وصفاً منصفاً بأنه "ملحمة الجاذبية" والتي فيها يطوف نظر (نيوتن) المحدّق من حركة ريشة او قذيفة مدفع الى الحركة الاعظم للسماوات، فنظريته عن الحركة والجاذبية أذهلت العالم او على الاقل أذهلت منه ذلك الجزء من العالم الذي يستطيع فهم معادلاته، ومن المؤكد ان بعض المردود (الجائزة، المكافأة) المادية كانت ستتوفر له ربما حتى في لندن.

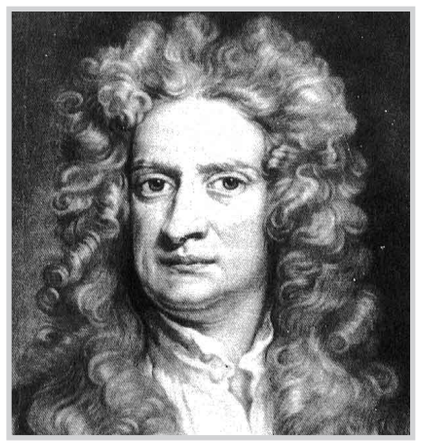

وواتته الفرصة عندما طُلب منه تحويل ذهنه به لاجل عمله الكيمياوي وصنع المناظير (التلسكوبات)، كما كان لديه اهتمام عملي بالنقود، ففي كامبرج كان قد انشغل بما كان يُعرَف بالربا – وهو إقراض الاموال مقابل فائدة – وفي غرفه في الجامعة كان نموذجية من مؤسسات القرن السابع عشر اي ينخرها الفساد، وأي مكان أفضل لعرض الرشاوى وقبولها من المكان الذي يتم فيه صنع النقود نفسها بشكل حَرفي؟ وكان (نيوتن) على وشك تغيير كل ذلك، فقد أنشأ فرناً جديداً وأمر بآلات طباعة وسكّاكات دوّارة وأجرى دراسة "الوقت والحركة" على موظفيه الـ (٥٠٠) محتسباً بدقة ما كان المطلوب منهم عمله خلال الدقيقة.

الا ان (نيوتن) كان مسؤولاً كذلك عن اقتفاء اثر ضاربي العملة او مزوري النقود، وفي تلك النقطة من تاريخه يظهر (ويليم تشالونر)، الرجل الذي اصبح خبيراً في الفنون الجميلة الخاصة بالتزوير، وكان انتهازياً مجازفاً بطراز القرن السابع عشر، وهو قروي يجتذبه الى لندن أريج النقود، وقد المعتاد، وقد وظف جيشاً من العملاء السريين الذين كانوا هم انفسهم لصوصاً او مبتزين، وقد نجح في الوصول الى منصب قاضي صلح لكي يتمكن من الاطلاع بنفسه على أساليب المزورين، وكان لديه جواسيس في كل مكان، حتى في سجون (نيوغَيت) حيث كان سجناؤه محجوزين.

وكان يستجوب المشتبه بهم لساعات في كل مرة، وكما يعلق (ليفينسون) "كانت شبكة (نيوتن) من المخبرين والعملاء السريين وفتوات الشوارع قد جعلت منه أكثر المحَققين الجنائيين فعاليةً الذين شهدتهم لندن على الاطلاق".

وكل المهارات التي جلبها للعلم، جلبها الآن للتحقيق الجنائي فقد كان دقيقاً جداً وكان لايلين، ولم يكن يثق بأحد ما عدا نفسه، وربما كان نهما في ملاحقة (تشالونر) لانه ربما خطر قد على باله كذلك ان سك النقود كان شكلاً مبتذلاً وحتى كافراً من اشكال الكيمياء القديمة اذ كان يلاحق نفسه الاكثر عتمة، كما انه كان يطالب بالامن والنظام في كل نواحي حياته، وكان سك النقود المزورة بالنسبة اليه شكلاً من اشكال الفوضى فلا يمكن إفساد النظام.

أما (تشالونر) – وقد خانه المقربون منه والمتآمرين معه – فقد تم القبض عليه بأوامر من (نيوتن) واقتيد الى (نيوغَيت)، والآن نظم (نيوتن) ادعاءه كما امكنه ان يقوم به فقط.. فقد حشدّ كل المعلومات ضد (تشالونر) حلقةً حلقة وأنعم النظر في كل دليل وجمع ملفاً عنونه "قضية تشالونر"، فقد همس السجين كلمات حفظها عن ظهر قلب جواسيسه في (نيوغَيت)، وجاء اليوم الذي وقف فيه قبالة موجّه التهم اليه في مناداة موثوقة على أسماء الحاضرين تخص الاتهامات الموجهة، فمن كان يستطيع الصمود بوجه الرجل الذي كان قد حل سر الكون؟

وبعد ان حُكِم على (تشالونر) بالموت كتب رسالة اخيرة الى السير (اسحاق نيوتن) ذكر فيها او بالاحرى صرخ فيها بأنه "يا الله، إلهي، سأُقتَل ما لم تُنقذني، آه أرجو ان يحرّك الله قلبك بالرحمة والشفقة"، ولم يكن هناك رد، وأي موضع للرحمة والشفقة في احتساب الارقام.

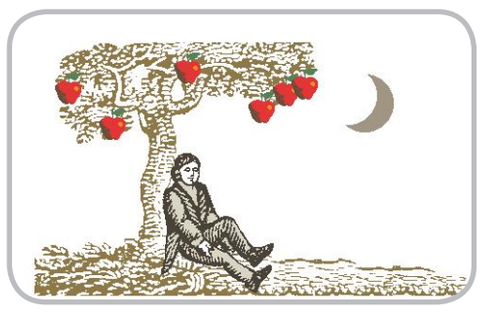

اسم الكتاب: نيوتن والمزوّر
تأليف: توماس ليفينسون
ترجمة: هاجر العاني.

يحتفظ بصندوق جنيهات انكليزية قرب النافذة كامتحان لأمانة العاملين معه.

على اية حال كان لديه اهتمام جامح بالمعادن وغرام بشكل خاص بالذهب، وطوال حياته تتبع علم – او فن– الكيمياء، وفي احد دفاتر ملاحظاته خربش عبارة "بذر الذهب في الارض: الموت والنشور"، اما في غرفته في كلية ترنيتي فكان قد أنشأ لنفسه مختبراً والذي فيه سعى الى "المسألة الكبرى"، و(ليفينسون) يدعو (نيوتن) "اكثر الكيميائيين حنكة ومنهجية في التاريخ".

وهكذا جاء الى عمله في دار سك النقود وهو مؤهل تماماً من كل النواحي، وقبل وصوله كانت الدار مؤسسة الجبار باتجاه معضلات النقود وتحديداً باتجاه تدفق العملة الفضية من انكلترا الى فرنسا وهولندا حيث كان بإمكانها ان تبتاع بشكل متناسب ذهبا اكثر، بالاضافة الى ذلك كانت العملة القديمة مغشوشة الى حد كبير بمعدن خسيس بحيث انه لم يكن بإمكانها عملياً ان تشتري شيئاً، وكان حله هو (النيوتنية) البسيطة، فيكتب (ليفينسون) "كان بالإمكان فهم النقود كطرف في معادلة، كفكرة تجريدية، كمتغير يتم تحليله رياضياً".

ولكن النقود كانت دائماً في باله، فلم يكن (نيوتن) ببساطة مفكراً مجرداً بل كان صاحب مهنة وعالماً تجريبياً، وقد أنشأ أفرانه الخاصة و العقاب "فيقول بأنها "لطيفة"، لكنه يكتب قائلا بأن الشمس تشرق مرتين باليوم في مكان واحد ; يتناول ديراك عشاءه بصمت حتى يسأله صاحبه "هل ذهبت الى المسرح أو السينما هذا الاسبوع؟" فيجيب "لماذا تريد ان تعرف؟".

كان كتابه فريداً مثل مهاراته الاجتماعية. ذكر فريمان دايسون – الذي حضر دروساً لديراك في سن مبكرة عندما كان في التاسعة عشرة من عمره – بأن الكتب العظيمة التي ألّفها رواد الميكانيك الكمية "كانت بالية و غير متقنة بالنسبة الى كتب ديراك"، و ان اكتشافات ديراك "تشبه تماثيل أنيقة من المرمر تتساقط من السماء الواحد تلو الأخر". كان ديراك قادراً على استحضار قوانين الطبيعة من فكر نقي لا يشوبه شيء (خاصةً و ان ديراك قد تكهّن بوجود ضديد المادة عام ١٩٢٨ لأن معادلته الالكترونية النسبية التي اكتشفها حينذاك كانت تحتاج الى ذلك). هذا النقاء هو الذي جعله فريداً".

في عام ١٩٩. وضع هيلج كراغ كتاب "ديراك: سيرة علمية"، و هو من الكتب المرجعية القيّمة التي تتعلق بالفيزياء و فيها القليل من سيرة ديراك و قصصه ذات النكهة اللذيذة، في فصل بعنوان "الروح الأكثر نقاءً". ماذا تدرَّج من صناعة المسامير الى تصنيع اللعب الجنسية – كان ينادي متجولاً في الشوارع على مخفي (محجوب) في ساعة من الصفيح – وقد لجأ الى سرقة صغيرة قبل التحول الى ضرب العملة، وبمزيج من البراعة والوقاحة كان قادراً على تقليد العملة المعدنية الاصلية للمملكة تقريباً بالضبط، واصبح غنياً فاشترى منزلاً في (نايتسبرج) واتخذ عشيقة، وكان هو نفسه قد أصبح نوعاً من كيميائيي القرون الوسطى محوّلاً المعادن البسيطة الى ذهب، وفي النهاية كان (تشالونر) قد التقى بندّه في كيميائي آخر.

وحالما تولى (نيوتن) مهام التوقيف وجهة الادعاء أتقن العملية بدهائه

الديموقراطية في أماكن خطرة

في العالم الفقير، غالباً ما تبدو الانتخابات مصحوبةً بالعنف، أو الحرب الأهلية، أو بما هو أسوأ. و على مدى العامين الماضيين، في أفريقيا لوحدها، عاشت نايجيريا، و زيمبابوي، و كينيا جميعاً اضطراباً واسع الانتشار خلال و بعد انتخابات عامة مباشرة. وهذه الاقتراعات لم تتسبب فقط بالقتل و تشويه الضحايا؛ فقد شوّه العنف في ما يبدو الديموقراطية نفسها أيضاً. وقد جعل ذلك منتقدين، مثل الصين، يوبّخون الغرب على ما تتّسم به الديموقراطية من مسببات متأصلة لإثارة الخلافات بين الناس! و هكذا، فإذا ما أُحرقت أسرتك حتى الموت في كنيسة في كينيا في نوبة تطهير عرقي تعقب انتخابات عامة، مَن سيقول إن الصينيين على خطأ كبيرعندئذ؟!

الكتاب: عن الديموقراطية في أماكن خطرة
تأليف: بول كولير
ترجمة: عادل العامل

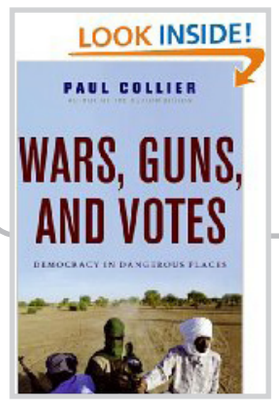

إنه سؤال مزعج للأمريكيين و الأوروبيين. و لهذا، فإن كتاب بول كولير Paul Collier الجديد عن الديموقراطية و الصراع في البلدان الفقيرة يأتي في وقته. وكما كانت الحال في كتابه الأسبق، (البليون الأدنى The Bottom Billion)، الذي صدر في عام ٢٠٠٧ و ابتكر فيه عبارته لوصف السكان الأشد فقراً في العالم، يتحدى المؤلف قدراً من التفكير الغربي الكسول بشأن المسار الذي ينبغي أن تسلكه البلدان الفقيرة لتحسين حالها. وكولير اقتصادي أكاديمي، و يخصص بحثاً كمياً معتبراً للديموقراطية و الحكومة في البلدان التي يتأمل أوضاعها. و يستخدم فريقه من الباحثين معطيات من المسوح الميدانية الأسرية، و نتائج الانتخابات و ما شابه لإعطاء مادة إحصائية إلى بعض التوكيدات العريضة على الموضوع. وأحياناً تعيد النتائج ما هو معروف، لكنها في الغالب تكون جديدة و مثيرة. والأكثر أهمية، أنه يبيّن من دون لبس ما ظل مراقبو الانتخابات في البلدان الفقيرة يشكّون فيه طويلاً: أن الانتخابات، ما لم تُجر في سياق من الديموقراطية الوظيفية functioning، يمكن أن تؤخّر تقدم البلد بدلاً من أن تدفع به إلى أمام. و كما يكتب عن ذلك قائلاً، "إذا كانت الديموقراطية تعني أكثر بقليل من أنها انتخابات، فهي تضر بعملية الإصلاح".

و نايجيريا حالة في هذا الإطار. فثروتها النفطية الهائلة، التي ينبغي استخدامها للمساعدة في تطور البلد، تجعل السياسيين متلهفين بوجه خاص للإمساك بالسلطة. و هم يستخدمون في ذلك أقدر الوسائل على الإطلاق لفعل هذا، وهكذا تُصبح الانتخابات أكثر قليلاً من قطع الطرق المنظّم. و تُصبح الطرق العنيفة التي يستخدمها السياسيون أسلوب فترتهم في المنصب أو السلطة، و يكون النظام الساسي بكامله فاسداً.

ويلاحظ كولير أن الانتخابات تبدأ بدفع العائدات للمجتمع فقط عندما تحصل في نظام من الضوابط و التوازنات، مع دور وظيفي للقانون: "فمع الانتخابات و الاصلاح، تمثل الديموقراطية قوةً من أجل الخير طالما كانت أكثر من واجهة". تلك الفكرة وحدها ينبغي أن تجعل المتبرعين donors الغربيين و المسؤولين الأمريكيين يتوقفون طويلاً قبل التصدق بملايين أكثر من الدولارات لدعم ما يُدعى بالانتخابات الديموقراطية في الكونغو، نايجيريا، أو ربما السودان هذا العام.

كما يحلل المؤلف العوامل الأخرى التي تعمل ضد الأداء الناجح للديموقراطية و التي تتسبب في العنف في البلدان الفقيرة. من ذلك التشغيل المتدني وهرمون التيستوستيرون لدى الشباب. والتطور الاقتصادي هو "علاج أساسي للعنف" كما يؤكد؛ وأنت قد لا تكون قادراً على انتزاع ذلك الهرمون من شباب سفّاحين أو قطّاع طرق، لكن خلق وظائف شغل يعطيهم شيئاً يقومون به بدلاً من رفع السكاكين في وجوه المارة. و كما يبيّن بحثه، فإن التطور السريع ربما هو المحدد الأهم للمحافظة على السلم. فالمساعدة وحدها لا تحقق هذا، بل هو التشجيع على وجود قطّاع خاص مزدهر.

وبالمثل، فإن خلق هوية قومية يساعد في الارتفاع على سياسة التشاحن العرقي عن طريق إقناع الناس بأن لا يصوّتوا بشكل أعمى للحزب الذي ينتمي لجماعتهم العرقية، كما حدث في كينيا في نهاية عام ٢٠٠٧. و يمعن كولير النظر في مثال تانزانيا، حيث نجح جوليوس نيريري، أول رئيس للبلاد، في إنشاء حس قوي بالانتماء للأمة. والنتيجة هي سلم طويل الحضور نسبياً، بالرغم من الاختلافات التاريخية التي ما زالت سائدة بين السر الرئيس وجزيرة زنجبار.

وتُعد رواندا البلد الآخر الذي يصمم فيه رئيس الدولة، بول كاغيم، على استئصال الهوية العرقية لصالح هوية قومية أعظم. لكن في حالة رواندا، هل تُعد هذه بالضرورة فكرة طيبة؟ لم تكن حقيقة التنازع العرقي وحدها وراء إبادة عام ١٩٩٤ الجماعية، و إنما بالأحرى إيديولوجيا "قوة الهوتو Hutu Power" التي روّجت لها جماعة عرقية ضد أخرى، التوتسي. و حقوق الإنسان و حريات التعبير الأساسية تعاني جميعاً في اندفاع السيد كاغيم الشمولي لإنهاء التماثل الذاتي العرقي. لكن هل هناك ثمن يُدفع لقاء هذا الانحدار الإضافي؟

ويكرّس كولير القسم الأخير من كتابه لحلول قليلة ذات حجم مبالغ به لبعض المشكلات التي يتحدث عنها. و هو هنا أقل إقناعاً. و تصل هذه إلى شكل من أشكال التدخلية الليبرالية أكثر عدائية، مع كل الخسائر الاعتيادية. فهو من أنصار نوع من الالتزامات العسكرية التي مكّنت بريطانيا، مثلاً، من إعادة السلم إلى سيراليون في أوائل عام ٢٠٠٢. و يؤدي به هذا إلى اقتراح أن تقوم البلدان الفقيرة بالتعاقد على معيار عالمي للديموقراطية مع الغرب، في مقابل أن يقوم الغرب بالتدخل عسكرياً إذا ما هدد انقلابٌ ما القادة المنتخبين. لكن هذا بالضبط هو نوع الوطأة الشديدة التي يمكنها أن تحشد شعباً منقسماً و عنيداً وراء حاكم شنيع.

لا يهم ذلك. ففي الأقل، يفكر كولير بشأن هذه القضايا الملحة و الصعبة جداً، و هو شيء لا يرغب الكثير من الناس في معالجته رأساً. و قد أبعد جانباً المناقشة التي ينبغي أن تثور داخل وكالات التنمية و مستشاريات كل عاصمة غربية، و في أفريقيا و آسيا أيضاً. و هي تستحق الجهد بالتأكيد. و قد كتب هذا الكتاب قبل الانتخابات الحادة الأخيرة في غانا، و هي تمرين ناجح في الديموقراطية، أُجري في أشد الظروف إجهاداً. و قد ساد حكم القانون. و ذلك ما سيُطمئن المستثمرين الخارجيين و يخلق بيئة مستقرة للقطّاع الخاص. و ذلك هو نوع الصالح العام الذي ينبغي أن تقدمه الانتخابات و الديموقراطية.

عن/The Economist

أكثر الرجال غرابة

في عام ١٩٣. و في جامعة كامبردج، حضر سبراحمانيان شاندراسيخار درساً في الميكانيك الكمية لبول ديراك الذي كان آنذاك في الثامنة و العشرين من العمر. بعد ثلاث سنوات من ذلك أصبح ديراك أصغر عالم نظريات ينال جائزة نوبل للفيزياء في ذلك الوقت.

بعد ذلك بخمسين عاماً، صار شاندراسيخار واحداً من علماء النظريات القدامى. يصف شاندراسيخار ديراك بانه "ذلك الشخص النحيل الوديع (من الجمعية الملكية) الذي يسير متخفياً بجوار الجدار (كاللصوص!) و لم يكن بصحة جيدة". و رغم ان ديراك كان يعيد المادة من كتابه المنهجي، المنشور حديثاً حينها، كلمةً بكلمة، فقد كان الدرس الذي حضره شاندراسيخار لأربع مرات مثل قطعة موسيقية يود المرء سماعها مرةً تلو الأخرى".

ان ديراك هو الشخصية الرئيسية في آلاف الحكايات الفكاهية التي تروى بين الفيزيائيين، بسبب اسلوبه المختصر ذي الكلمة الواحدة في الحديث، و بساطة و صلابة تطبيق المنطق في كل شيء. ان الاستماع الى إحدى قصص ديراك يشبه التسلّل الى عالم آخر. يقرأ ديراك "الجريمة و العقاب" فيقول بأنها "لطيفة"، لكنه يكتب قائلا بأن الشمس تشرق مرتين باليوم في مكان واحد ; يتناول ديراك عشاءه بصمت حتى يسأله صاحبه "هل ذهبت الى المسرح أو السينما هذا الاسبوع؟" فيجيب "لماذا تريد ان تعرف؟".

كان كتابه فريداً مثل مهاراته الاجتماعية. ذكر فريمان دايسون – الذي حضر دروساً لديراك في سن مبكرة عندما كان في التاسعة عشرة من عمره – بأن الكتب العظيمة التي ألّفها رواد الميكانيك الكمية "كانت بالية و غير متقنة بالنسبة الى كتب ديراك"، و ان اكتشافات ديراك "تشبه تماثيل أنيقة من المرمر تتساقط من السماء الواحد تلو الأخر". كان ديراك قادراً على استحضار قوانين الطبيعة من فكر نقي لا يشوبه شيء (خاصةً و ان ديراك قد تكهّن بوجود ضديد المادة عام ١٩٢٨ لأن معادلته الالكترونية النسبية التي اكتشفها حينذاك كانت تحتاج الى ذلك). هذا النقاء هو الذي جعله فريداً".

في عام ١٩٩. وضع هيلج كراغ كتاب "ديراك: سيرة علمية"، و هو من الكتب المرجعية القيّمة التي تتعلق بالفيزياء و فيها القليل من سيرة ديراك و قصصه ذات النكهة اللذيذة، في فصل بعنوان "الروح الأكثر نقاءً". ماذا بقي الى جانب الميكانيك الكمية و الحكايات الممتعة التي تحفل بها حياة هذا العالم الفيزيائي العظيم المستقل بفكره. ان عنوان كتاب "الروح الأكثر نقاءً" و المقصود به ديراك مأخوذ من نيلز بور، مثل عنوان كتاب غراهام فارميلو. يقول بور ("ان ديراك هو أغرب الرجال الذين زاروني في المعهد"). لكن النقاء و الغرابة هما ليس كل شيء. يعرض كتاب فارميلو صورةً لرجل لامع، غريب عند النظر اليه من الخارج ; كما ان الكتاب هو لوحة مزخرفة تعرض ملامحه الداخلية. يقدم لنا فارميلو – كباحث أقدم في المتحف العلمي في لندن – نسيجاً من حياة ديراك التي قضى معظمها خارج البيت ; من نزهاته الطويلة أيام الآحاد عندما كان شاباً و التي كان يبدو فيها مثل "عريس في صورة زفاف ايطالية مرتدياً بدلةً لم يغيرها طوال الاسبوع، و يداه ممسكتان ببعض وراء ظهره، و قدماه منفرجتان للخارج اثناء تجواله في الريف بخطوات إيقاعية"; الى سفرات التجديف بالقارب في اواخر حياته مع ليوبولد هالبرن – و هو عالم فيزياء اكثر منه غرابةً – عبر غابات السافراس و أشجار الزان الاميركية التي تزينها الأشنة الاسبانية. نادراً ما كانت التماسيح تطلق أصواتاً: السكون مطبق لا يعكره الا صوت لقلقة المجداف المتواترة و صوت عقاب البحر الدوّار و جلجلة الريح عبر ثغرات الشاطىء في الغابة". (بعد الغداء كانا يسبحان ثم يجدفان عائدين، و نادراً ما كانا يتبادلان الحديث).

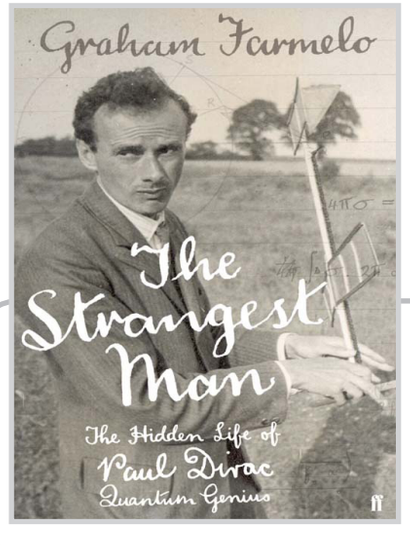

الكتاب: الحياة الخفية للعالم بول ديراك الخبير بأسرار الذرة
تأليف: غراهام فارميلو
ترجمة: عبدالخالق علي

نحن نتابع ديراك منذ طفولته الهزيلة القاسية في بريستول (حيث يبعد بمسافة قليلة عن آرتشي ليتش – الذي يصغره بسنتين – و عن كاري غرانت)، منذ اكتشافه معنى سعادة العائلة، لدى زيارته عائلة بور في كوبنهاكن و هو لايزال ببدلته ذات القطع الثلاثة، و اهتمامه ببناته كوالد ; حتى وفاته في فلوريدا عام ١٩٨٤.

في إحدى مقدماته، يصف فارميلو زيارةً الى ديراك العجوز قام بها زميله عالم الأحياء كورت هوفر. من خلال هوفر نرى ان ديراك يتحول فجأةً من اسلوب الكلام الموجز ليتحدث على مدى ساعتين و بحماسة كبيرة عن والده الفظيع. لقد قرر المؤلف ان يحافظ على حكاية رواها ديراك عن طفولته بمعزل عن بقية الكتاب، و تنتهي بأفكار هوفر الذي يقول: "لا اعرف حياةً مخيفة مثل حياة ديراك "ظل هوفر يسأل نفسه مراراً: هل من الممكن ان يكون ديراك، ذو الفكر النقي نقاء الحاسوب، مبالغاً؟" لماذا كان بول يشعر بالمرارة مع والده؟"

ان التضارب بين هذه المقدمة (التي تعطي سبباً كافياً لديراك كي يشعر بالمرارة من والده) و بين الحياة الدافئة للعائلة، كما تظهر في الفصل الاول، يلقي توتراً على بقية الكتاب يشبه التوتر الذي يشعر به المرء عند قراءة قصة غامضة. و كما في القصة الغامضة، فإن الفصل السابق يلقي ضوءاً جديداً. هناك ينقّب فارميلو عن احتمال ان يكون ديراك انطوائياً، و عن الطرق التي من خلالها أثّرت صعوبة قراءته لمشاعر الآخرين على ادراكهم له و ادراكه لهم. ان التأكيد على طفولة ديراك كقصة – و التي يعتقد فارميلو بأنها حقيقية – عادةً ما يعزز اهمية وجهة النظر.

في حكاية لا تنسى، يزور ديراك و زوجته بعض الاصدقاء المقربين و هما بيتر و آنا كابيتزا في روسيا. في عام ١٩٣٤، كانت ذراع الدولة السوفيتية قد ابعدت كابيتزا، رغم مواكبته الطويلة للحزب الشيوعي، عن مختبره في كامبردج تحت اسم آرنست روترفورد، و أعادته الى الاتحاد السوفيتي. في عام ١٩٣٧ إلتقى الصديقان ثانيةً في المنزل الصيفي لكابيتزا في غابات بولشيفو الصنوبرية، "المليئة بفاكهة التوت القريبة من النهر الذي يجري مسرعاً." لقد وصلوا بأيام قليلة "قبل ان يأمر ستالين بتعذيب أعداء الشعب المشكوك بهم"، كتب فارميلو يقول "على الطرق المحيطة ببولشيفو، كانت الشاحنات التي كتب عليها "لحوم و خضراوات" تحمل في داخلها سجناء في طريقهم للإعدام و الدفن في غابات شمال المدينة التي أعجب بها ديراك عند مشاهدته لها من خلال ناظوره ذي العدستين. يتناول فارميلو هذه المشاهد بفهم متجدد لمدى التعقيد الذي وصل اليه العالم. لم يكن ديراك يعرف – أو ربما لم يستطع ان يعرف – ماهية الاتحاد السوفيتي; كما انه لم يستطع ان يعرف من هو ابوه بالفعل مثلما لم يكن أبوه يعرفه. ان هذه المنظورات التكعيبية التي لا يمكن تحليلها، هي التي كتبت السيرة الخالدة التي لم أقرأ مثلها منذ سنين.